رد غسان كنفاني

سيكون من الصعب ، في السطور التالية ، التخلص من الاعتقاد بأننا نقوم بعمل لا مبرر له ، وان مقال الصديق الدكتور نديم البيطار* ، الذي نعتقد انه لم يكن يستحق النشر ، لا يستحق ، بالاحرى ، المناقشة ، وان المسألة برمتها هي مجرد اضاعة للوقت في محاولة لعقلنة ثرثرة غير عقلانية ، يهيلها رجل له — في كتاباته — كل صفات المثقف الليبرالي، الخارجي ، النافد الصبر ، الباحث عن التميز ولو على حساب العقل .

اذن ليكن الدافع اكثر جدية وفائدة ، ولنكنس جانبا كل تلك الثرثرة التعميمية المترعة بأحقاد لا مبرر لها ، ولنختصر بكلمات لها معنى النقطتين العاديتين اللتين تستند اليهما كل تلك الثرثرة : **اولا** ، يعتقد الدكتور البيطار ان فكر المقاومة هو فكر تبشيري ، بل هو اعلى مراتب ذلك الفكر ، ولكن كلمة تبشيري عند الدكتور البيطار لا تعني ما تعنيه عادة في الفكر السياسي ، بل هي الخليط التالي : ميتافيزيكي ، مثالي ، طوبائي ، اخلاقي ، ذاتي ، انفعالي ، عاجز ، شعائري ، لفظي ، ديني ، بدوي ، تقليدي ، متخلف ، اسطوري . ان مجموعة الشتائم هذه ، المتناقضة فيما بينها ، هي السمة الاساسية والعامة لفكر المقاومة ، وهي التي قادت المقاومة الى « الركض وراء مقاصد لا يمكن تحقيقها » او « مقاصد لا ترتبط بالواقع الاجتماعي والتاريخي » ومحاولة السعي « وراء اهداف متناقضة » ويؤكد الدكتور ان ذلك ليس فقط وقفا على فكر المقاومة فـ « الفكر العربي الثوري هو ، اساسا ، وفي معظمه ، من هذا النوع » ، تلك هي القاعدة التي تستند اليها النقطة التالية: **ثانيا** ، ان سر « فشل » المقاومة هو في رفعها لشعار حرب التحرير الشعبية ، وهو شعار لا ينطبق على الواقع الفلسطيني ولا العربي ، وشعار دون مستقبل ، واتليمي ، وتقليد محض للتجربة الصينية والفيتنامية والجزائرية دون اساس موضوعي ، واذا تواضعت المقاومة في شعاراتها خرجت من مأزقها(١). وتلحق هذه النقطة نقاط اخرى من نوع لوم المقاومة على مناداتها بتسريح الجيوش العربية النظامية ، ولومها على تطريتها المفرطة والى آخر ما هنالك من نغمات مماثلة .

على الدكتور نديم البيطار ، والقراء ، ان ينبهونا اذا كان المقال الذي نحن بصدده يحوي اكثر مما اوردناه هنا ، بصرف النظر عن المطمطة والاسترسال وخفة الدم احيانا ، ان النقطة الجوهرية الوحيدة في مقال الدكتور البيطار هي رفضه للشعار الذي رفعته المقاومة حول حرب تحرير شعبية **فلسطينية** تقوم على المطالبة **بتسريح** الجيوش النظامية العربية وتنفرد **وحدها** بتحرير فلسطين على غرار النموذج **الفيتنامي** ، ان المقتل الاساسي في دعوى الدكتور البيطار هذه ، هي كونها مزورة ، فليس ذلك هو فكر المقاومة !

لماذا اذن يخلق الدكتور البيطار لنفسه طاحونة ويقاتلها ، ويبني هذه الطاحونة وفق مواصفات تناسبه ؟ ان السبب الرئيسي في اعتقادنا لهذه الهجمة المفتعلة هو ذلك الطراز الارستقراطي من التنصل ، الذي يسارع اليه المثقفون الخوارج حين يعتقدون ان السفينة اخذت تغرق ، وهم انما يفعلون ذلك من خلال المزايدة .

نقول: يبني الدكتور البيطار طاحونته وفق مواصفات تناسب سفينه الخشبي ، لانه يتحدث عن « فكر المقاومة » هكذا بالمطلق(٢)، دون ان يميز التيارات الرئيسية البارزة فيه ، وكي ينجح في سوق اتهاماته دون ميزان موضوعي يمتنع عن الاستشهاد مرة واحدة بمصدر واحد ، ذلك يجعله يخلط الحابل بالنابل (مثلا : يأخذ تطرية بعض التيارات في «فتح»

---

* اشعر ان علي منذ البدء الاعتذار للدكتور البيطار في حال شعوره بقسوة الحوار من طرفي، ان ذلك لا يقلل من التقدير والود الذي أكنه له . ان الموضوع الذي نحن بصدده يعكس سخونته على الحوار .

١ — على طريقة العروس وبعيرها : لم يكن من الممكن دخولهما معا من الباب فاقترح « دكتور » مماثل قص ارجل الجمل او رأس العروس !

٢ — ثم يعمم الى « معظم » الفكر الثوري العربي ، ذلك يذكر بتعميمات فلاسفة الاشتراكية الوطنية الالمانية الذين كان اثرهم واضحا في كتاب الدكتور البيطار الاول « الايديولوجية الانقلابية » والذين يتحدثون عن « كليات » ومطلقات .